من هم العباد الذين بعثهم الله على بني اسرائيل؟

رأي يقول: أن الملك سليمان بنى هيكلاً للعبادة وظل موجوداً حتى الغزو البابلي لفلسطين في القرن السادس قبل الميلاد حيث دمره البابليون بقيادة نبوخذ نصر تماما في عام ٥٨٦ قبل الميلاد وأخذ منهم ما يقرب من ٩٠ ألف أسير إلى بابل ثم بعد ما يقرب من خمسين سنة أعادهم الملك الفارسي قورش وجددوا الهيكل فلما جاء المسيح عليه السلام وحدث منهم ما حدث معه دعا عليهم بالتشتت وفي سنة ٧٠م دمر الملك الروماني تيتوس الهيكل مرة أخرى تماماً وفي سنة ١٣٥م دمر الامبراطور الروماني هادريانوس المدينة باكملها وبنى مكانها مدينة سماها ايليا كابيتولينا واسم إيليا هذا كان هو المستخدم منذ الفتح الإسلامي لفلسطين.

إذاً معنى هذا أنه منذ هذا التاريخ وهو عام ١٣٥م انتهى كل وجود لليهود فى فلسطين لا بشر ولا مكان للعبادة[١].

ورأي يقول إن المسلط عليهم في إفسادهم الأول هم جالوت وجنوده وفي المرة الثانية بختنصر.

وفي بيان العباد الذين بعثهم الله على بني اسرائيل يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر في مقال منشور بصحيفة الأهرام:

هذا، والذي يراجع ما كتبه المفسرون في بيان العباد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول والثاني في الأرض، يرى أقوالاً متعددة يبدو على كثير منها الاضطراب والضعف.

والرأي الذي نختاره: هو أن العباد الذين سلطهم الله - تعالى - على بني

إسرائيل بعد إفسادهم الأول في الأرض هم «جالوت» وجنوده، ونستند في اختيارنا لهذا الرأي إلى أمور من أهمها ما يأتي:

(أ) ذكر القرآن الكريم في سورة (البقرة) عند عرضه لقصة القتال الذي دار بين «طالوت» قائد بني إسرائيل في ذلك الوقت ـ القرن الحادي عشر قبل الميلاد ـ وبين «جالوت» قائد أعدائهم، ذكر ما يدل على أن بني إسرائيل كانوا قبل ذلك مغلوبين من أعدائهم، ويتجلى ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ «الآية ٢٤٦».

فقولهم: (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يدل دلالة واضحة، على أن بني إسرائيل قبل قتالهم لـ «جالوت» وقومه، كانوا مهزومين هزيمة اضطرتهم إلى الخروج من ديارهم، وإلى مفارقة أبنائهم.

(ب) قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ صريح في أن الله ـ تعالى ـ نصر بني إسرائيل على أعدائهم بعد أن تابوا، وهذا المعنى يوافق ما قصه القرآن علينا بعد ذلك، من أن بني إسرائيل بقيادة «طالوت» قد انتصروا على أعدائهم وهم جالوت وجنوده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ولما برزوا ـ أي: بنو إسرائيل ـ لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة﴾ (البقرة: ٢٥٠) وداود ـ عليه السلام ـ هو نبي كريم من أنبياء بني إسرائيل، وكان في ذلك الوقت جندياً من جنود طالوت.

(ج) قوله ـ تعالى ـ ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾: أوضح ما يكون اتفاقا مع عهود حكم طالوت وداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ لبني إسرائيل، وما سوى هذه العهود فهي عهود نكبات وهزائم، هذه بعض الأدلة التي تجعلنا نرجح أن المراد بالعباد الذين سلطهم الله ـ تعالى ـ عليهم بعد إفسادهم الأول في الأرض، هم جالوت وجنوده.

أما العباد الذين سلطهم الله ـ تعالى ـ عليهم بعد إفسادهم الثاني، فيرى كثير من المفسرين أنهم «بختنصر» وجنوده.

وهذا الرأي ليس ببعيد عن الصواب، لأنه نكل ببني إسرائيل سنة ٥٨٦ق.م، وساق كثيراً منهم أسرى إلى بابل بالعراق، إلا أننا نؤثر على هذا الرأي، أن يكون المسلط عليهم بعد إفسادهم الثاني في الأرض، هم الرومان بقيادة زعيمهم «تيطس» سنة ٧٠م، وذلك لأمور من أهمها:

(أ) أن الذي يتتبع التاريخ يرى أن رذائل بني إسرائيل في الفترة التي سبقت تنكيل «تيطس» بهم سنة ٧٠م، كانت أشد وأشنع من الرذائل التي سبقت إذلال «بختنصر» لهم سنة ٥٨٦ق.م، فهم ـ على سبيل المثال ـ قبل ضربات «تيطس» لهم، كانوا قد نقضوا العهود، وقتلوا المصلحين، وكفروا بآيات الله، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم ـ أي: فبسبب نقض بني إسرائيل لعهودهم ـ وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف ـ أي: لا تفهم ـ بل طبع الله عليها بكفرهم، فلا يؤمنون إلا قليلاً. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم..﴾ (سورة النساء: ١٥٥ ـ ١٥٧).

(ب) ضربات الرومان بقيادة تيطس كانت في ذاتها أشد وأقسى على بني إسرائيل من ضربات بختنصر البابلي لهم، وكانت في آثارها أشنع بكثير مما فعله معهم «بختنصر» فإنهم لم تقم لهم قائمة بعد تنكيل «تيطس» بهم، بل تمزقوا في الأرض شر ممزق، وانقطع دابرهم كأمة، وقد صرح بذلك الأستاذ شاهين مكاريوس في كتابه (تاريخ الإسرائيليين) ص٧٦ ـ طبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ ـ فقال عند حديثه عن تنكيل «تيطس» بهم: «إلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب «أورشليم» على يد «تيطس» تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم بعد ذلك ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها».

هذا، ومع ترجيحنا بأن المسلط عليهم في المرة الأولى هم جالوت وجنوده، وأن المسلط عليهم في المرة الثانية هم الرومان بقيادة «تيطس» إلا أننا نحب أن نقول في نهاية تفسيرنا لهذه الآيات الكريمة ما يأتي:

(أ) إن الإفساد في الأرض قد حدث كثيراً من بني إسرائيل، وأن المقصود من قوله ـ تعالى ـ: ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ إنما هو أظهر وأبرز مرتين حدث فيهما الإفساد منهم، يشير إلى ذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿وإن عدتم عدنا﴾ وقد عادوا إلى شرورهم في فترات تاريخية متعددة، فسلط الله عليهم من سامهم سوء العذاب.

(ب) أن المراد من سياق الآيات، إنما هو بيان سنة من سنن الله في الأمم حال صلاحها وحال فسادها، وقد ساق القرآن هذا المعنى بأحكم عبارة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾.

ويعجبني في هذا المقام قول الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآيات: «واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام الذين

سلطهم الله على بني إسرائيل في مرتي إفسادهم، بل المقصود أنهم لما أكثروا من المعاصي، سلط الله ـ تعالى ـ عليهم أقواماً قتلوهم...».

(ج) إن القرآن الكريم عندما ساق هذه الآيات الكريمة، يريد لأتباعه في كل زمان ومكان، أن يتعظوا بالأحداث، وأن يعتبروا بأحوال الأمم، وأن يعلموا علم اليقين أنهم إذا أرادوا أن ينجحوا في حياتهم، وأن يسعدوا في دنياهم وآخرتهم، فعليهم أن يخلصوا عبادتهم لخالقهم، وأن يباشروا الأسباب التي شرعها الله ـ تعالى ـ للنجاح وللنصر وللسعادة لأنه ـ عز وجل ـ قد كتب على نفسه أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يهيء لنا من أمرنا رشدا.

****

قال الله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ (الآيات: ٤، ٥، ٦، ٧ سورة الإسراء).

يقول صاحب صفوة التفاسير (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي أخبرناهم وأعلمناهم وأوحينا إليهم في التوراة (لتفسدن في الأرض مرتين) أي ليحصلن منكم الإفساد وما حولها مرتين قال ابن عباس أول الفساد قتل زكريا والثاني قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) أي تطغون في الأرض المقدسة طغياناً كبيراً.

والعدوان وانتهاك محارم الله ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي أولى المرتين من الإفساد ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ أي سلطنا عليكم من عبيدنا أناساً جبارين للانتقام منكم ﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي أصحاب قوة وبطش في الحرب شديد، قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما استحلوا المحارم وسفكوا الدماء سلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفاً حتى كاد يفنيهم هو وجنوده، وذلك أول الفسادين ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ أي طافوا وسط

البيوت يروحون ويغدون للتفتيش عنكم واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب لا يخافون من أحد ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ أي كان ذلك التسليط والانتقام قضاءً جزماً حتماً لا يقبل النقض والتبديل ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي ثم لما تبتم وأنبتم أهلكنا أعداءكم ورددنا لكم الدولة والغلبة عليهم بعد ذلك البلاء الشديد ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي أعطيناكم الأموال الكثيرة والذرية الوفيرة، بعد أن نهبت أموالكم وسُبيت أولادكم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ أي جعلناكم أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي إن أحسنتم يا بني إسرائيل فإحسانكم لأنفسكم ونفعه عائد عليكم لا ينتفع الله منها بشيء ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي وإن أسأتم فعليها لا يتضرر الله بشيء منها، فهو الغني عن العباد، لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي فإذا جاء وعد المرة الأخيرة من إفسادكم بقتل يحيى وانتهاك محارم الله بعثنا عليكم أعداءكم مرة ثانية ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي بعثناهم ليهينوكم ويجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية على وجوهكم بالإذلال والقهر ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي وليدخلوا بيت المقدس فيخربوه كما خربوه أول مرة ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ أي وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه تدميراً، فقد سلط الله عليهم مجوس الفرس فشردوهم في الأرض وقتلوهم ودمروا مملكتهم تدميراً ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ أي لعل الله يرحمكم ويعفو عنكم إن تبتم وأنبتم، وهذا وعد منه تعالى بكشف العذاب عنهم إن رجعوا إلى الله ‹عسى› من الله واجبة ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي وإن عدتم إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى العقوبة والانتقام

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ أي وجعلنا جهنم محبساً وسجناً للكافرين، لا يقدرون على الخروج منها أبد الآبدين.

يقول القرطبي في تفسيره للآيات الواردة في القوم الذين سلطهم الله على اليهود آثرت أن أضعها بين يدي القارئ كاملة دون إيجاز أو اختصار.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي أولى المرتين من فسادهم ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى حين كذبوا إرمياء وجرحوه وحبسوه، قاله ابن عباس وغيره. وقال قتادة: أرسل عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد. وقال مجاهد: جاءهم جند من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بختنصر فوعى حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال، وهذا في المرة الأولى، فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل، ذكره القشيري أبو نصر. وذكر المهدوي عن مجاهد أنه جاءهم بختنصر فهزمه بنو إسرائيل، ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميراً. ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، ذكره النحاس. وقال محمد بن إسحاق في خبر فيه طول: إن المهزوم سنحاريب ملك بابل، جاء ومعه ستمائة ألف راية تحت كل راية مائة ألف فارس فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى وأمات جميعهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كُتّابه، وبعث ملك بني إسرائيل واسمه صديقة في طلب سنحاريب فأخذ مع الخمسة، أحدهم بختنصر، فطرح في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيلياء ويرزقهم كل يوم خبزتين من

شعير لكل رجل منهم، ثم أطلقهم فرجعوا إلى بابل، ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين، واستخلف بختنصر وعظمت الأحداث في بني إسرائيل، واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا، فجاءهم بختنصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم. وقال ابن عباس وابن مسعود: أول الفساد قتل زكريا. وقال ابن إسحاق: فسادهم في المرة الأولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة، وذلك أنه لما مات صديقة ملكهم مرج أمرهم وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضاً وهم لا يسمعون من نبيهم، فقال الله تعالى له قم في قومك أوح على لسانك، فلما فرغ مما أوحى الله إليه عدواً عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها. وذكر ابن إسحاق أن بعض العلماء أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يقتل وإنما المقتول شعيا. وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ۝٦﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الدولة والرجعة، وذلك لما تبتم وأطعتم. ثم قيل: ذلك بقتل داود جالوت أو بقتل غيره، على الخلاف في من قتلهم. ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ حتى عاد أمركم كما كان ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ۝٦﴾ أي أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ من إفسادكم، وذلك أنهم قتلوا في المرة

الثانية يحيى بن زكريا عليهما السلام، قتله ملك من بني إسرائيل يقال له لاخت، قاله القتيبي. وقال الطبري: اسمه هردوس، ذكره في التاريخ، حمله على قتله امرأة اسمها أزبل. وقال السدي: كان ملك بني إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويستشيره في الأمر، فاستشاره الملك أن يتزوج بنت امرأة له فنهاه عنها وقال: إنها لا تحل لك، فحقدت أمها على يحيى عليه السلام، ثم ألبست ابنتها ثياباً حمراً رقاقاً وطيبتها وأرسلتها إلى الملك وهو على شرابه، وأمرتها أن تتعرض له، وإن أرادها أبت حتى يعطيها ما تسأله، فإذا أجاب سألت أن يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست من ذهب، ففعلت ذلك حتى أتى برأس يحيى بن زكريا والرأس تتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا تحل لك، لا تحل لك، فلما أصبح إذا دمه يغلي، فألقى عليه التراب فغلى فوقه، فلم يزل يُلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي، ذكره الثعلبي وغيره. وذكر ابن عساكر الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي قال: كان ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه أخوه، فأراد أن يتزوج امرأة أخيه، فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء، فقال له: لا تتزوجها فإنها بغي، فعرفت ذلك المرأة أنه قد ذكرها وصرفه عنها، فقالت: من أين هذا! حتى بلغها أنه من قبل يحيى، فقالت: ليقتلن يحيى أو ليخرجن من ملكه، فعمدت إلى ابنتها وصنعتها، ثم قالت: اذهبي إلى عمك عند الملأ فإنه إذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره، ويقول سليني ما شئت، فإنك لن تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فإذا قال لك ذلك فقولي: لا أسأل إلا رأس يحيى. قال: وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على رؤوس الملأ ثم لم يمض له نزع من ملكه، ففعلت ذلك. قال: فجعل يأتيه الموت من قتله يحيى،

وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه، فاختار ملكه فقتله. قال: فساخت بأمها الأرض. قال ابن جدعان: فحدثت بهذا الحديث ابن المسيب فقال أفما أخبرك كيف كان قتل زكريا؟ قلت لا، إن زكريا حيث قتل ابنه انطلق هارباً منهم واتبعوه حتى أتى على شجرة ذات ساق فدعته إليها فانطوت عليه وبقيت من ثوبه هدبة تكفتها الرياح، فانطلقوا إلى الشجرة فلم يجدوا أثره بعدها، ونظروا بتلك الهدبة فدعوا بالمنشار فقطعوا الشجرة فقطعوه معها.

قلت: وقع في التاريخ الكبير للطبري فحدثني أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، قال: كان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ، قال: وكان لملكهم ابنة أخ تعجبه... وذكر الخبر بمعناه. وعن ابن عباس: قال: بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، وكان فيما يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الأخت، وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها، فلما بلغ ذلك أمها أنهم نهوا عن نكاح بنت الأخت قالت لها: إذا دخلت على الملك فقال ألك حاجة فقولي: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سليني سوى هذا! قالت: ما أسألك إلا هذا. فلما أبت عليه دعا بطست ودعا به فذبحه، فندرت قطرة من دمه على وجه الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بختنصر فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ذلك الدم، فقتل عليه منهم سبعين ألفاً، في رواية خمسة وسبعين ألفا. قال سعيد بن المسيب: هي دية كل نبي. وعن ابن عباس قال: أوحى الله إلى محمد | إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً. وعن سمير بن عطية قال:

قتل على الصخرة التي في بيت المقدس سبعون نبياً منهم يحيى بن زكريا. وعن قرة بن خالد قال: ما بكت السماء على أحد إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي، وحمرتها بكاؤها. وعن سفيان بن عيينة قال: أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: يوم ولد فيخرج إلى دارهم، وليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيراناً لم ير مثلهم، ويوم يبعث فيشهد مشهداً لم ير مثله، قال الله تعالى ليحيى في هذه الثلاثة مواطن: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ (مريم: ١٥) كله من التاريخ المذكور.

واختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الآخرة، فقيل: بختنصر. وقاله القشيري أبو نصر، لم يذكر غيره. قال السهيلي: وهذا لا يصح، لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى ابن مريم عليهما السلام بزمان طويل، وقبل الإسكندر، وبين الإسكندر وعيسى نحو من ثلاثمائة سنة، ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعيا، فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً، فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس وأتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها. وقال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا فغلط عند أهل السير والأخبار، لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيا وفي عهد إرمياء. قالوا: ومن عهد إرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من عهد تخريب بيت المقدس إلى عمارته في عهد كوسك سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة وثلاثاً وستين سنة.

قلت: ذكر جميعه الطبري في التاريخ رحمه الله. قال الثعلبي: والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق قال: لما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى - وبعض الناس يقول: لما قتلوا زكريا - بعث الله إليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: خردوس، فسار إليهم بأهل بابل وظهر عليهم بالشام، ثم قال لرئيس جنوده: كنت حلفت بإلهي لئن أظهرني الله على بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، وأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم، فدخل الرئيس بيت المقدس فوجد فيها دماء تغلي، فسألهم فقالوا: دم قربان قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة. قال ما صدقتموني، فذبح على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤسائهم فلم يهدأ، (فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ)، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد، فقال: يا بني إسرائيل، اصدقوني قبل ألا اترك منكم نافخ نار من أنثى ولا من ذكر إلا قتلته. فلما رأوا الجهد قالوا: إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فقتلناه، فهذا دمه، كان اسمه يحيى بن زكريا، ما عصى الله قط طرفة عين ولا هم بمعصية. فقال: الآن صدقتموني، وخر ساجداً ثم قال: لمثل هذا ينتقم منكم، وأمر بغلق الأبواب وقال: أخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس، وخلا في بني إسرائيل وقال: يا نبي الله، يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل ألا أبقي منهم أحداً. فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله عز وجل، ورفع عنهم القتل وقال: رب، إني آمنت بما آمن به بنو إسرائيل وصدقت به، فأوحى الله تعالى إلى رأس من رؤوس الأنبياء: إن هذا الرئيس مؤمن صدوق. ثم قال: إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني

لا أعصيه، فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الإبل والخيل والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم إلى العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، ثم انصرف عنهم إلى بابل، وقد كاد أن يفني بني إسرائيل.

قلت: قد ورد في هذا الباب حديث مرفوع فيه طول من حديث حذيفة، وقد كتبناه في (كتاب التذكرة) مقطعاً في أبواب في أخبار المهدي، نذكر منها هنا ما يبين معنى الآية ويفسرها حتى لا يحتاج معه إلى بيان، قال حذيفة: قلت يا رسول الله، لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر. فقال رسول الله ﷺ: (هو من أجَلّ البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودُر وياقوت وزمرد): وذلك أن سليمان بن داود لما بناه سخر الله له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد، وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف. قال حذيفة: فقلت يا رسول الله، وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس. فقال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بختنصر وهو من المجوس وكان ملكه سبعمائة سنة، وهو قوله: «فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً» فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناع فاحتملوها على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام، ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل، وأن

يستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في بيت المقدس ورده الله إليه كما كان أول مرة وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل، وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء: ٨) فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر، وهو قوله: ‹فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً› فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ حلي جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ وهذا مما أخبروا به في كتابهم. و«عسى» وعد من الله أن يكشف عنهم. و«عسى» من الله واجبة. ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامه منكم، وكذلك كان، فكثر عددهم وجعل منهم الملوك. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ، فهم يعطون الجزية بالصغار، وروي عن ابن عباس. وهذا خلاف ما تقدم في الحديث وغيره. وقال القشيري: وقد حل العقاب ببني اسرائيل مرتين على أيدي الكفار، ومرة على أيدي المسلمين.

****